

ابو محمد عبدالله بن محمد الازدي الصحاري (ت 456هـ).

قراءة في كتاب الماء (قراءة تاريخية لغوية شرعية اجتماعية)

كتاب الماء معجم لغوي طبي ولكنني لن أتناول في قراءتي الجانب الطبي لأن هذا يحتاج إلى متخصص في علم الطب وخاصة الطب البديل ولكنني سأتناول في قراءتي الجانب التاريخي والجانب اللغوي والجانب الشرعي والجانب الاجتماعي والجانب الطباعي. علما بأنني اعتمدت في القراءة على الطبعة الثانية للكتاب والتي قمت بمراجعتها وتصحيحها إملانيا بأجزائها الثلاثة .

وفي المعلومات المتكررة أكتفي بذكر في الاستشهاد ببضع مواضع فقط ولا التزم بالحصص والاستقراء التام.

أولا : الجانب التاريخي

- 2 / 428 ذكر ما يدل على انتسابه إلى صحار وقد وصفه بأنه قسبة عمان ، وأنشد قوله : ديار بها شددت علي تمانمي * وأول أرض مس جلدي ترابها .
- ذكر عمان في الصفحات التالية : 2 / 298 -
- ذكر صحار في الصفحات التالية :
- ذكر شيخه ابن سينا (ولد 370هـ - ت 427هـ) وملازمته له في الصفحات التالية : 1 / 113 (وذكره شيخنا العلامة) ، 1 / 120 ،
- علما بأنه إذا قال شيخنا فإن الذهن ينصرف إلى شيخه ابن سينا ، 1 / 113 (وذكره شيخنا العلامة)
- ذكر انتقاله إلى العراق في الصفحات التالية :
- سافر إلى بلاد فارس لدراسة الطب كما يدل على ذلك الصفحات التالية :
- ابرز علماء اللغة والنحو في العراق كانوا من العمانيين كالخليل بن أحمد الفراهيدي وابن دريد وابو الحسن الهنائي .
- ذكر الخليل بن أحمد الفراهيدي (ت 174 هـ) في الصفحات التالية : 2 / 428 ونصه : (رواه الخليل رحمة الله عليه) . 1 / 107 (قال الخليل بن أحمد رضي الله عنه) . 1 / 118 . 1 / 139 .
- ذكر بعض المدن العمانية مثل مسقط 2 / 374 ذكر عن جرش بأنه ينسب إليه العنب الجرشي باليمن وأن أشجاره كانت تغطي الرؤية ما بين مسقط وصحار ، ضرب بهما المثال لتقدير المسافة بينهما .
- والسيب
- ذكر مشافهته للبيروني كما ذكر في الصفحة :

ثانيا : الجانب اللغوي

- 428 /2 ذكر اسم أكلة مشهورة في عمان وهي الصحناء ،والصحناء وهو إدام يتخذ من السمك الصغار ، وهذا من قاموس الفصاحة العمانية ، وهذه الأكلة تسمى الصير عند غير العمانيين .
- كان كثير الاستشهاد بأشعار العرب 100/1 ، 112/1 ، 114/1 ، 119/1
- 298/2 ذكر السعن وقال (السعن ظلة نتخذها في عمان فوق السطوح)، وهذا من قاموس الفصاحة العمانية.
- المؤلف كان غيورا على اللغة العربية فلذا كان من مقاصد تأليفه لكتاب الماء ما نص عليه من قوله : (فقد بلغنا عن أطباء عصرنا ومتطبيبه وصيدالته وطاربيه وأهل الجراحة والتشريح والكحالين ما بلغنا من خروجهم على لغة العرب وتفضيلهم لكلام العجم يتمادحون بذلك فيما بينهم ويغمضون فيه أمام مرضاهم اظهارا لقدرة لا تستحق الاظهار وعجمة لا تستوجب الافتخار (لِسَانُ الَّذِي يُلْحَدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ وَهَذَا لِسَانُ عَرَبِيٍّ مُبِينٌ) (النحل/103) فجهدت جهدي ان اعيد الاعجمي من لفظ الاطباء الى رسوم لسان العرب). فهذا واضح انه كان يهدف الى تعريب لغة الاطباء .
- يحاول التوفيق في اسماء الادوية بين المتعارف عليه بينهم باللغة الفارسية وبين المستقر عليه في لغة العرب .مثل المردقوش يسمى عند العرب آذان الفأر ، ومثل القلقاس يسمى عند العرب آذان الفيل 121/1.

ثالثا : الجانب الشرعي

- كان كثيرا ما يذكر التمام كما جاء في الصفحات التالية : 428 /2 حيث أنشد قوله : ديار بها شدت علي تمانمي * وأول أرض مس جلدي ترابها .
 - كان كثير الاستشهاد بالآيات القرآنية مثل 97/1 -
- كان كثير الاستشهاد بالاحاديث النبوية ولكنه لم يكن محدثا ولا يظهر عليه صناعة الحديث ومما يدل على ذلك انه ذكر حديثا مرفوعا الى النبي صلى الله عليه وسلم بصيغة التمريض وذلك في صفحة 99 /1 ذكر حديث(كيف تقولون ليس الطيب الا المسك؟ ليس الطيب الا الماء) والحقيقة ان هذا ليس حديثا نبويا وانما هو من كلام بعض العرب فقد ذكر جلال الدين السيوطي في كتابه المزهري في علوم اللغة (2/ 240) : (وقال القالي في أماليه : حدثنا أبو بكر بن دريد حدثنا أبو حاتم قال : سمعت الأصمعي يقول : جاء عيسى بن عمر الثقفي ونحن عند أبي عمرو بن العلاء فقال : يا أبا عمرو ما شيء بلغني عنك تجيزه قال : وما هو قال : بلغني أنك تجيز ليس الطيب إلا المسك بالرفع قال أبو عمرو : ذهب بك يا أبا عمرو ! نمت وأدلج الناس ليس في الأرض حجازي إلا وهو ينصب ولا في الأرض تميمي إلا وهو يرفع .

ثم قال أبو عمرو : قم يا يحيى - يعني اليزيدي وأنت يا خلف - يعني خَلْفاً الأحمر فاذهباً إلى أبي المَهْدِي فلَقَّنَاه الرِّفْع فإنه لا يرفع واذهباً إلى أبي المُنْتَجِع فلَقَّنَاه النِّصْب فإنه لا ينصب .

قال : فذهباً فأتياً أبا المهدى فإذا هو يصلي فلما قضى صلاته التفت إلينا وقال : ما خطبكما قلنا : جننا نسألك عن شيء من كلام العرب قال : هاتيا فلنا : كيف تقول ليس الطيب إلا المسك فقال أأمراني بالكذب على كِبْرَة سني فقال له خَلْف : ليس الشرابُ إلا العسل قال اليزيدي : فلما رأيت ذلك منه قلت له : ليس ملائِك الأمر إلا طاعةُ الله والعملُ بها فقال : هذا كلام لا دَحَل فيه ليس ملائِك الأمر إلا طاعةُ الله فقال اليزيدي : ليس ملائِك الأمر إلا طاعةُ الله والعملُ بها فقال : ليس هذا لحني ولا لَحْن قومي فكتبنا ما سمعنا منه ثم أتينا أبا المنتجع فقال له خَلْف : ليس الطيبُ إلا المسكُ فلَقَّنَاه النِّصْب وجهدنا به فلم ينصب وأبى إلا الرِّفْع فأتينا أبا عمرو فأخبرناه وعنده عيسى بن عمر لم يبرح فأخرج عيسى خاتمه من يده وقال : ولك الخاتم بهذا والله فُتت الناس (ا.هـ)

- الملاحظ على المحقق أنه لا يجيد تخريج الأحاديث النبوية فهو مثلاً يقول في حديث "انها طعام طعم وشفاء سقم" : (النهاية 3/125 ، والطب النبوي 306) والصحيح على مقتضى التحقيق العلمي أن يكتب كما يلي : (أخرجه مسلم في صحيحه عن أبي ذر رضي الله عنه بلفظ ((إِنَّهَا مُبَارَكَةٌ إِنَّهَا طَعَامٌ طَعْمٌ) وزاد غير مسلم: ((وَشِفَاءٌ سَقْمٌ)))
- كان يستعمل أسلوب المشفق على المتعلم ويبدأ كتابه بالدعاء بالرحمة 97/1 (اعلم رحمك الله)
- 107/1 يقول أن الحمار (الوحشي يسمى أبداً ؛ لأنه لم يمت وحشي حتف أنفه قط، انما موته عن آفة وكذلك الافعى فيما زعموا).
- أنه يثبت الصفات لله تعالى من غير تأويل 510 /1 فهو يقول: (الحنَّان الرحيم من الحنان وهو الرحمة ومنه قوله تعالى " وحنانا من لدنا " أي رحمة). بخلاف الاشاعرة والماتريديّة الذين يفسرون ويؤولون الرحمة بارادة الانعام ولا يثبتونها كصفة لله تعالى .

رابعاً : الجانب الاجتماعي .

كان من أسباب تأليفه لكتاب الماء أنه تأثر بالبيئة الاجتماعية والعلمية والتي كان لها الدور الأكبر عليه في المهمة في طلب العلوم المختلفة والاستفادة من اعلام العلم المتوافرين في تلك الحواضر الإسلامية ، والتي كان ينتشر فيها أسواق الوراقين والمخطوطات ومما يدل على هذا التأثير : تسميته كتاب الماء بهذا الاسم، على غرار كتاب (العين) لشيخه الفراهيدي الذي فاق به من كان قبله، يقول: "فإني لما رأيتُ أبا عبدالرحمن الخليل بن أحمد، رحمه الله، قد أغرب في كتاب (العين) فبراً من كان قبله، وعنى به من جاء بعده... عزمْتُ على أن أكتبَ كتاباً يجمع بين الطب والعربية، ويضم الأمراض والعلل والأدواء...".

وقد كان من مصادر تأليفه لكتاب الماء الاستفادة من اساتذته وشيوخه بالإضافة إلى الاستفادة من التجارب الشخصية لأبناء مجتمعه وكذلك تجاربه الذاتية .

وكان يكثر من النقل عن امثاله من العمانيين المهاجرين الى بلاد العراق كالخليل بن احمد الفراهيدي وابن دريد 113/1

خامساً : الجانب الطباعي .

- 428/2 سطر 17 كرر رقم الإحالة إلى الهامش (10) بينما كان يفترض أن يكون (11).
- 97 /1 سطر 4 خطأ في طباعة الآية " من السماء " .
- 101/1 سطر 8 كلمة (واعلم) وكذلك في السطر 15 (وأعلم) الصحيح أن همزتهما همزة وصل وليس همزة قطع فيكون (واعلم).
- 116/1 سطر 13 بيت الشعر (يكاد من تتنحج وأح) الصحيح تتنحج.
- 117/1 سطر 15 (اليه) الصحيح إليه ؛لأن همزته همزة قطع.
- 130/1 سطر 7 (وقيدني) الصحيح (وقيدني)

أهم التوصيات:

- 1-زيادة العناية بالمخطوطات العمانية من حيث تحقيقها ونشرها .
- 2-العناية بأعلام عمان ممن هاجر وطنه طلباً للعلم ،والحرص على التعرف عليهم من خلال المصادر العامة لتراجم الأعلام .